

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس العشرون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين :-

- قال المصنف رحمه الله :-

باب الشفاعة

وقول الله تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (٥٣) وقوله: (قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) (٥٤) وقوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٥٥) وقوله: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ) (٥٦) وقوله: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) (٥٧) الآيتين.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن هذا الباب باب الشفاعة من أعظم أبواب كتاب التوحيد وذلك لأن مسألة الشفاعة من المسائل التي أشكلت على أهل الإشراف ففهموها على غير وجهها ووقعوا فيما حرم الله تعالى عليهم وتوسلوا بوسائل غير مشروعة فلاجل ذا أحتيج إلى بيانها غاية البيان فإن المشركين الأوائل والمعاصرين لم يفهموا مسألة الشفاعة كما أراد الله سبحانه وتعالى فتكلم على مسألة الشفاعة من عدة أوجه:

◈ أولاً: من حيث تعريفها

الشفاعة في اللغة مأخوذة من الشفع، وهو الزوج ضد الفرد لأن الأشياء إما شفع وإما زوج وإما فرد، فالشفاعة إذا مأخوذة من مادة شفع التي تدل على الزوجية والإثنية بخلاف الفردية هذا أصلها في اللغة، وأما في الاصطلاح فإن الشفاعة تعني سؤال الخير للغير، وأقرب الاستعمالات لها في لغتنا المعاصرة قولهم (الواسطة) هذه هي الشفاعة قال الله تعالى: { من يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها } فسؤال الخير للغير هي الشفاعة الحسنة التي تدل على طلب الخير للغير، وينبغي أن يعلم بأن

الشفاعة عند الله عز وجل ليست كالشفاعة عند ملوك الدنيا، وعدم التمييز بين هذا وهذا هو الذي أوقع المشركين فيها وقعوا فيه من الشرك العظيم

فإن الشفاعة عند ملوك الدنيا تكون مقبولة إما رغبة أو رهبة الشفاعة عند ملوك الدنيا حينما يتقدم أحد عند ملك أو سلطان أو أمير أو كبير ليشفع لفلان فإن شفاعته قد تقبل إما رغبة في استمالته أو درءا لشره، وهذا المعنى منتف في حق الله عز وجل فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يستكثر بعباده من قلة ولا يستعز بهم من ذلة لا يقبل الله تعالى شفاعة الشافعين لكي يتقوى بهم ولا لكي يدفع شرهم وخطرهم حاشا وكلا فالله هو القوي له القوة جميعا وهو العزيز له العزة جميعا وخلقه مضطرون مفتقرون إليه

فالشفاعة عند الله تعالى ليست كالشفاعة عند ملوك الدنيا وإنما من الله تعالى بالشفاعة على من شاء من باب الكرامة للشافع لإظهار فضله، وأما حقيقة الشفاعة عند الله تعالى فهي حق خالص له سبحانه قال الله تعالى: { قل لله الشفاعة جميعا } رأيتم { قل لله الشفاعة جميعا }،

وما وجه كونها لله جميعا لأن الشفاعة عند الله عز وجل لا تكون صحيحة إلا بشرطين:

- إذن الله للشافع أن يشفع،

- ورضاه عن المشفوع له

فهذان الشرطان يجعلان الشفاعة حقا خالصا لله لا يملكه أحد من تلقاء نفسه إذن الله للشافع أن يشفع دليل هذا الشرط: { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } فلا يملك أحد أن يشفع عند الله إلا بعد حصول بإذنه أما الشفاعة عند المخلوقين فلا يدري ذلك السلطان أو الكبير أو الأمير أو الوزير إلا وقد دخل عليه فلان وقدم شفاعته دون إذن مسبق أما في حق الله فلا بد من إذن مسبق لأن الشفاعة له، الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع له فلا يمكن لشافع أن يشفع إلا بشرط الرضا عن المشفوع له ما الدليل على هذا الشرط؟ قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أي الملائكة وهم من خشيته مشفقون)

وقد جمع الله تعالى بين هذين الشرطين في آية النجم فقال تعالى: { وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى } أي من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الشافعين، ويرضى عن المشفوع لهم

فتبين بهذا أن معنى قول الله تعالى قل لله الشفاعة جميعاً فإن قال قائل إذا كان الأمر كذلك وصارت الشفاعة لا تحصل إلا بإذن مسبق وبرضى عن المشفوعين فما داعي الشفاعة إذا؟ فالجواب عن هذا أن يقال إن ذلك كرامة يكرم الله بها من شاء من الأنبياء، والصالحين، والشهداء، والصدّيقين فيريد الله تعالى أن يظهر كرامتهم بهذا الأمر بحيث يظهر أنهم سبب لحصول هذا المراد فلا شك أن في هذا إظهار فضل لهم وليست كما فهمها المشركون من أنها نوع إدلاء على الله تعالى كما عند ملوك الدنيا،

ولهذا نجد الشفاعة في القرآن الكريم على ضربين شفاعاة مثبتة وشفاعة منفية:

- نجد أن الله تعالى في بعض الآيات يثبت الشفاعة كقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فأثبت الشفاعة في هذا الاستثناء من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وشفاعة منفية دل عليها قول الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالشفاعة المثبتة هي ما جمعت شرطي قبول الشفاعة إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له،
- والشفاعة المنفية هي الشفاعة التي ظنها المشركون من أن ألهتهم وأصنامهم يشفعون لهم عند الله تعالى كما قال قائلهم "ما نعبدهم إلا ليقربونا عند الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله" فأبطل الله تعالى ذلك إذا أمر الشفاعة أمر دقيق وكما وقع المشركون الأوائل في إشكالية الشفاعة وقع فيها المشركون المتأخرون فصار الذين يقصدون الأولياء والقبور ويدعون الصالحين إذا أنكر عليهم ذلك قالوا هؤلاء يشفعون لنا عند الله نحن ندعوهم لمقامهم، ومنزلتهم، وقربهم، ودرجتهم عند الله فهم وسائط بيننا وبين الله ونحن مسلمون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ليس حالنا كحال المشركين فيقال لا فرق ما وقع فيه الأوائل من دعاء غير الله عز وجل وقعتم فيه فإن قلتم نحن ندعو صالحين فقد دعوا صالحين اللات كان يلت السويق للحجاج الملائكة هم أقرب الخلق لله سبحانه وتعالى كانوا يستشفعون بالصالحين كما تفعلون ومع ذلك أبطل الله صنيعهم وأكفرهم بذلك فلا فرق بين الفعلين، وأما قولكم نحن نشهد أن لا إله إلا الله فيقال إن شهادة أن لا إله إلا الله تعني أن لا معبود بحق إلا الله وألا يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فإن أخللتم بذلك فقد انفرط عقد إسلامكم فيجب بيان هذه المسألة

◆ استدلل المصنف رحمه الله تعالى بقول الله تعالى: { وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع }

"وأنذر به" مرجع الضمير طبعاً الندارة معنى الندارة الإعلام بأمر مخوف ما ضد الندارة؟ البشارة وهي الإعلام بأمر يسر وأنذر به ودعوة المرسلين قائمة على البشارة والندارة والدليل على ذلك قول الله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين} إذا الرسل دوما مبشرين ومنذرين يبشرون بوعد الله وينذرون من وعيده

وأنذر به مرجع الضمير في قوله به أي بالقرآن العظيم وأنذر به

اللذين يخافون أن يحشرون إلى ربهم فلا ينتفع بالندارة إلا المؤمن باليوم الآخر الإيذان باليوم الآخر هو الذي يحمل العبد على أن ينتفع بالمواعظ، أما من كان لا يؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر فلا تؤثر فيه القوارع ولا المواعظ لأنه يظن أن منتهى الأمر أن يموت ويتحلل ويصبح تراباً أما من علم بأن ثم يوم آخر يجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته فإنه تنفع فيه الندارة

"أن يحشروا" معنى يحشروا أن يجمعوا إلى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع ولي مأخوذ من الولي وهو القرب والदनو فليس لهم من دون الله ولي يحول بينهم وبين الله عز وجل ولا شفيع، والشفيع كما تقدم وإنما سمي الشفيع شفيعاً لأن الشافع يضم إلى المشفوع له فصار شفيعاً بعد أن كان المشفوع له وترا هذا سبب تسميته شفيعاً لما انضم الشافع إلى المشفوع له صار شفيعاً بعد أن كان المشفوع له فرداً ووترا

ختم الآية "لعلهم يتقون" إذا هذه الندارة تسلم التقوى، وتقوى الله عز وجل تعني أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية وهذه الوقاية هي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ليست الوقاية أن يتخذ شفيعاً أو ولياً يدعوه من دون الله فهذه لا تزيده من الله إلا بعداً لعلهم يتقون .

◆ فمناسبة هذه الآية للباب ظاهرة وهي من قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع .

- فدللت الآية : على إثبات الشفاعة لله سبحانه وتعالى، وأفادت الآية الندارة بالقرآن العظيم،
- دلت على إثبات اليوم الآخر، ودلت على وجوب أفراد الله سبحانه وتعالى بالدعاء وعدم دعاء غيره،
- ودلت على إبطال دعاوى المشركين الذين يزعمون أن أولياؤهم شفعاء لهم عند الله عز وجل

◆ ثم استدلل المصنف بقول الله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعا}

هذه الآية تدل على أن الشفاعة خالصة لله سبحانه وتعالى ليست لأحد بل الله تعالى هو الذي يمن بالشفاعة على من شاء من خلقه ولهذا كان نبينا ﷺ يوم القيامة يذهب فيسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى بمحامد كالمستأذن فحينئذ يقال له يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع،

وقد ثبت لنبينا ﷺ ثلاث شفاعات:

(١) خاصة لا يشاركه فيها أحد إحداهما ما ذكرنا قبل قليل وهي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف أن يقضى بينهم بعد أن يطول قيامهم فإن الخلائق يوم القيامة إذا طال بهم المقام ودنت منهم الشمس قدر ميل أو ميلين وساخ العرق في الأرض قدر سبعين ذراعا وبلغ منهم كل مبلغ حتى منهم من يلجمه العرق إجماعا فزعوا إلى آدم عليه السلام اشفع لنا عند ربك فيحيلهم آدم على نوح، ويحيلهم نوح على إبراهيم، ويحيلهم إبراهيم على موسى، ويحيلهم موسى على عيسى حتى تؤول النوبة إلى نبينا ﷺ، وكل ما سبق باستثناء عيسى يذكر ذنبا أذنبه ويقول نفسي نفسي ويذكر فضل من بعده حتى يؤول الأمر إلى نبينا ﷺ فيقول (أنا لها أنا لها) فيأتي فيسجد تحت العرش ويفتح عليه بمحامد يقول لا أحسنها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع فيقول يا ربي أمتي أمتي فيكون أول من يقضى بينهم أمة محمد ﷺ فهذه هي الشفاعة العظمى التي قال الله تعالى عنها: { ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا }

(٢) النوع الثاني شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة لا يشاركه في هذه الشفاعة أحد يقول في الحديث الصحيح آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك إذا هذه شفاعة لأنه كان وسيطا في دخول أهل الجنة الجنة، النوع الثالث من الشفاعة الخاصة شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب وذلك أن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - سأل النبي ﷺ وقال له يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك في مكة فهل نفعته بشيء؟ فقال نعم وجدته في الدرك الأسفل من النار فأخرجته إلى دحاح من نار تحت قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه وإنه لأخف أهل النار عذابا وإنه ليظن أنه أشدهم عذابا وذلك أن المشركين في الأصل أيها الأخوان لا تنفعهم شفاعة الشافعين لكن هذه الحالة الاستثنائية واحدة نفع النبي ﷺ فيها عمه فأخرج من الدرك الأسفل من النار حتى خفف عنه وجعل تحت قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا أجازنا الله وإياكم،

(٣) أما الشفاعة العامة: التي يشترك فيها النبي ﷺ مع غيره من الأنبياء والشهداء، والصالحين، والصديقين، وحتى الفرط، ومن شاء الله تعالى أن يشفع فهي أنواع خمسة:

١. أحدها : الشفاعة في من استحق النار من عصاه الموحدين أن لا يدخلها يعني من استحق النار من عصاه الموحدين يشفع من شاء الله أن يشفع فلا يدخل النار .

٢. - الثاني : في من دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة بأنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة قالوا بره قالوا شعيرة قالوا خردلة من إيمان هؤلاء يخرجون بشفاعة الشافعين وهذان النوعان أنكرتهم المعتزلة والرافضة والخوارج لأنهم على عقيدة واحدة في باب الوعد والوعيد المعتزلة، والرافضة، والخوارج على تباينهم إلا أنهم في هذه العقيدة عقيدة الوعد والوعيد ينكرون الشفاعة ويثبتها أهل السنة للأدلة المتكاثرة في الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمعاجم الدالة على إخراج من شاء الله إخراجاً ويقال لهؤلاء الذين أخرجوا بعد أن امتحشوا : الجهنميون يخرجون من النار ضبائر ضبائر فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميم السيل يكون وجهها الذي تجاه الشمس أخضر والذي في الجانب الآخر أسمر أصفر

٣. - النوع الثالث من الشفاعات العامة؛ الشفاعة في من تساوت سيئاتهم وحسناتهم أن يدخلوا الجنة وهؤلاء هم أهل الأعراف: {وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم} فهؤلاء تناولهم شفاعة الشافعين فيدخلون الجنة

٤. - النوع الرابع الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة؛ وذلك أنه يشفع لبعض أهل الجنة أن ترفع درجاتهم

٥. - والخامسة الشفاعة في دخول بعض الناس الجنة بلا عذاب ولا عقاب؛ ويدل على هذا النوع حديث عكاشة بن محصن الأسدي حين أخبر النبي ﷺ عن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فخاض الناس في ذلك كما تقدم معنا في أول كتاب التوحيد ثم قال عكاشة بن محصن : ادعوا الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم فهذا أيضاً نوع من أنواع الشفاعة، إذا نحن ثبت جمع هذه الأنواع الثمانية من الشفاعة ونخص نبينا ﷺ بثلاثة منهم لا يشاركه معه أحد غيره

◆ ثم الآية التي بعدها قال الله تعالى في آية الكرسي "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"

والجواب لا أحد فهذا الاستفهام للنفي فمعنى قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه دلت على إثبات هذا الشرط العظيم وهو أنه لا شفاعة إلا بإذن الله

◊ ثم تلتها آية النجم: {وكم من ملك في السموات}

كم هذه هل هي الاستفهامية أم التكثيرية؟ التكثيرية يعني ما أكثر {وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً} لماذا خص السموات؟ لأنها منازل الملائكة الكرام وقد قال النبي ﷺ (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راکع أو ساجد لله) تعالى فالسمااء معمورة بالملائكة الكرام وهؤلاء الملائكة "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً لا تغني أي لا تجدي ولا تنفع إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الشافعين ويرضى أي ويرضى عن المشفوع لهم" ثم ذكر قول الله تعالى: {قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير} ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ذكرنا هذه الآية مرارا وهي تنسف جميع التعلقات. والله أعلم؛

قال المصنف - رحمه الله - :-

◊ وقوله: { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيها

من شرك وما له منهم من ظهير } { ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له } :

هاتان الآيتان أو هما بعض آية ذات دلالة عظيمة لهذا الباب وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - أمر نبيه ﷺ أن يجاج المشركين فقال له قل :

{ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله } زعمتم أي ادعيتهم من الآلهة المدعاة من أشجار، وأحجار وكواكب،
وصالحين من دون الله من سوى الله - عز وجل - ما حقيقة حالهم

لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض "الذرة" هي النملة الصغيرة وهذا هو الذي فهمه المخاطبون ولها
محوج - أيها الإخوان - أن نقول إن الذرة في الآية يراد بها الذرة التي في علم الفيزياء كما يقوله المعاصرون وأن هذا
من إعجاز القرآن كلا الواقع أن الله - سبحانه وتعالى - خاطب الناس بما يعرفونه فالذرة التي ذكرت في القرآن
أريد بها التدليل على أدق الأشياء وأصغرها ولم يكن معلوما عندهم أن المادة تتكون من ذرات وأن الذرة تتكون من
بروتون وغير ذلك من المعلومات التفصيلية والله تعالى إنما يخاطب الناس بما يعلمون،

والمقصود أنه أراد أن يضرب مثلا بأدق الأشياء فهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ثم قال وما
لهم فيها من شرك أي أن هؤلاء المدعويين الذين أشركتموهم مع الله - عز وجل - لا يملكون استقلالاً ولا
يملكون مشاركة وما له منهم من ظهير، المقام الثالث أنه غني عن معاونتهم لأن الظهير معناه معاون فهم أيضا لا
يظاهرون بمعنى أنهم لا يعاونونه كما يعاون الخدم والحشم الأمير أو السلطان نفى الله عنهم ثلاث مقامات، بقي
أمر رابع محتمل وهو الشفاعة فلذلك أتبع ذلك بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له هذا هو المتعلق المتبقي
الذي يمكن أن يتعلق به المشركون وهو أن يقول قائلهم سلمنا وأقررنا أن هؤلاء المدعويين لا يملكون ذرة
استقلالاً ولا يملكون مشاركة وليس لهم معاونة ولا مظاهرة

لكن هؤلاء لهم مقام وهم جاه يدلون بهم على الله - عز وجل - فما دام لهم هذه المنزلة التي يدلون بها على الله فليس
كثير أن نتعلق بهم فلذلك الله محق الله تعالى المتعلق الأخير بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له إذا لمن
الشفاعة؟ الله جميعا فما بقي شيء يتعلق به المشركون،

إذا هذه الآية العظيمة في الواقع أبطلت جميع ما يمكن أن يطلب منه النفع، وأن من يطلب منه النفع لا بد أن يملك إحدى أربعة أشياء أحد أربعة أشياء، إما الملك المستقل، أو الملك المشارك، أو المظاهرة والمعونة، أو الشفاعة فلم يكن لهؤلاء المدعويين أي شيء من هذه الأنواع فما وجه تعلقهم بهم؟ لا وجه له فهذه من أعظم آيات التوحيد في الواقع،

فمناسبتها لهذا الباب مناسبة ظاهرة فيها الرد على المشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويطلبون منهم الشفاعة زعموا
لجلب النفع أو لدفع الضرر نفى الله ذلك

◆ فستفيد من هاتين الآيتين :

- الرد على المشركين الأوائل والمتأخرين؛ الأوائل الذين قال قائلهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، والمتأخرين الذين يعتقدون في الأولياء، والمقبورين، والصالحين أنهم شفعاء عند الله فيطلبون منهم الشفاعة
- أيضا نستفيد من هذه الآية مشروعية المجادلة والمناظرة مع المخالفين؛ لأن الله ندب نبيه لذلك وقال له قل وأمل عليه ما ينبغي أن يقول لهم فهذا يدلنا على أنه لا بد أن يكون في أهل الإسلام من ينتدب للرد والمناظرة وهكذا كان فإن المصنفين والعلماء على ضربين منهم من يصنف ابتداء في بيان مسائل الدين الأصلية والفرعية، ومنهم من ينصب نفسه للرد على أهل البدع والمخالفين وكلا الأمرين مطلوب كلاهما مطلوب وحسن أن يجمع المرء بينهما ليكون شيء من جانب البناء وشيء من جانب الصيانة
- كذلك نستفيد من هاتين الآيتين قطع جميع الأسباب والمتعلقات التي يتعلق بها المشركون الملك، والمشاركة، والمعونة، والشفاعة، وأنها خالصة لله تعالى
- وأيضا في الآية ما يدل على إثبات الشفاعة؛ الشفاعة المثبتة أين ذلك؟ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فالاستثناء يدل على وجود شفاعة مثبتة وهي التي تكون بإذنه
- أيضا نستفيد أن المشركين الذين استشفعوا بمعبوداتهم لم تنفعهم تلك الشفاعة لأن الله قد قال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ولهذا ذمهم الله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة هل نفعهم استشفاعهم بهذه الوسائط لا والله .

◊ بعد هذه الآية العظيمة نقل الشيخ - رحمه الله - نقلا طويلا نسيا عن شيخ الإسلام فتأملوا معي هذا النقل
قال أبو العباس، أبو العباس من؟ شيخ الإسلام ابن تيمية هل هذه كنية أم لقب؟ كنية ما صدر بأب أو أم فهو كنية
إذا ما لقبه - رحمه الله -؟ شيخ الإسلام وأيضا تقي الدين .

قال أبو العباس "نفى الله عن من سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو أن
يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لم أذن له الرب كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فهذه
الشفاعة التي يظنها المشركون - يعني يعتقدونها - هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي
فيسجد لربه ويحمد لا يبدأ بالشفاعة أو لا:

"هذا في حديث الشفاعة المشهور أن النبي ﷺ يقول فأتى فأسجد تحت العرش فيفتح علي بمحامد فيقال له أرفع
رأس وقل واسمع واسأل تعطى واشفع تشفع إذا هو بأبي وأمي ﷺ لم يبدأ بطلب الشفاعة ولكن منحت إياه
(وقال أبو هريرة يعني مخاطبا النبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك؟ يعني يوم القيامة قال:

من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله) إذا دل
ذلك على أنه لا بد من إذن الله للشافع أن يشفع بدليل قوله (واشفع تشفع) ورضاه عن المشفوع له وشرط الرضى
عن المشفوع له أن يكون من أهل التوحيد والإخلاص وإن شابهته شائبة معصية أو كبيرة لقوله لأبي هريرة لما قال له
من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)

قال الشيخ - رحمه الله - وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من
أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود إذا هذه حقيقة الشفاعة أنها تفضل ورحمة من الله - عز وجل - لمن أراد
الله تعالى أن يرحمه وذلك بواسطة شفاعة هذا الشافع الذي أذن له فيكرمه الله على رؤوس الخلائق بأن يميز شفاعته
لا شك أن هذا كرامة إذا أجاز الله شفاعة الشافع فإن هذا كرامة له ودليل على منزلته من الله - سبحانه وتعالى -
بهذا يتبين فضل الشفاعة قال فيغفر له بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود قال الله - عز
وجل - { ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا }

فالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى وهو شفاعته ﷺ لأهل الموقف أن يقضى بينهم، وإنما سمي المقام المحمود لأن
جميع الخلائق تحمده على هذا العمل حيث أنه خفف عنهم وكان سبب في خلاصهم بعد هذا الوقوف الطويل فلهذا
سمي المقام المحمود، وقد قال ﷺ وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة

فالشفاة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاة بإذنه في مواضع فدل ذلك على وجود نوعين من الشفاة منفية ومثبتة

قال الشيخ وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه

وبناء عليه فإن هؤلاء الذين يضيعون أعمارهم في دعاء غير الله - عز وجل - ويتقربون إلى المقبورين والأولياء ويقولون نحن في سترك، ونحن تحت جناحك ونحن كذا وكذا لهذا الميت المقبور الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إنما في الحقيقة يهدرون أعمارهم، ويفسدون أديانهم، ويرغبون عن الطريق السوي وهو دعاء الله - عز وجل -، وسؤاله مباشرة

طيب إذا الشيخ - رحمه الله - ساق هذا النقل الطويل ليبين فيه ما دلالة آية سورة سبأ والفرق بين الشفاة المثبتة والشفاة المنفية

◆ لنستمع الآن إلى المسائل...

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين قال المصنف - رحمه الله - تعالى باب الشفاة قال

فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الآيات.

[الشرح]: نعم وقد تقدم بحمد الله

- الثانية: صفة الشفاة المنفية.

[الشرح]: نعم صفة الشفاة المنفية هي التي تطلب من غير الله وهي التي كان عليها المشركون

- الثالثة: صفة الشفاة المثبتة.

[الشرح]: وهي ما جمعت شرطين إذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له فهي تطلب من الله

-الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

[الشرح]: نعم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف لأن يقضى بينهم

-الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

[الشرح]: وهذا قد جاء في سياق كلام أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية

السادسة: من أسعد الناس بها؟.

[الشرح]: نعم وهو من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا وإياكم منهم هذا المعنى عظيم أيها الإخوان، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي هريرة قد ظننت أنه لا يسألني هذا السؤال أحد غيرك وذلك لفقه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه فحقق هذا في نفسك يا عبد الله وأنت يا أمة الله قل لا إله إلا الله خالصا من قلبك يعني لا معبود بحق إلا الله لا يستحق أن يعبد سوى الله - عز وجل - مرر هذا المعنى على قلبك في مختلف الأوقات فإن هذا من أعظم أسباب حصول الشفاعة من النبي ﷺ

[قراءة المتن]

-السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

[الشرح]: نعم لا تكون لمن أشرك بالله لم؟ لأنه لم يقل لا إله إلا الله خالصا من قلبه فقد سأها غير الله

-الثامنة: بيان حقيقتها.

[الشرح]: كما عبر شيخ الإسلام رحمه قال وحقيقته أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص يعني أهل التوحيد فيرحمهم ويكون ذلك بواسطة من أراد الله أن يكرمه فهي في الحقيقة فضل من الله للمشفوع له وللشافع فضل من الله على المشفوع له أن فكه من العذاب، وفضل من الله للشافع أن أكرمه على رؤوس الملائم فهي تفضل من الله - عز وجل - ومنحة إلهية

نتقل إلى الباب الذي بعده..